The Poetic Language of Ahlam Mostaguanemi In the Novel " Alaswad Yaliko Biki "

اللغة الشعرية عند أحلام مستغانمي في رواية " الأسود يليق بك "

كوراد نجاة

جامعة طاهري محمد–بشار–الجزائر

Kourad42@yahoo.com

قدم للنشر في: 2017/12/27 قبل للنشر في: 2018/05/29

Abstract:
The style of the writer in this novelist work has a magical effect on the flow of this poetic language that is mixed between the photography art which was too strong to the point of imagination and charted in the mind of the reader.
Also her fancy in employ the opposites dualisms that gives a special and a singly character to the novel. This all an indication about her privacy elegant poetic language which contains a lot of surprises cited beautiful style. This is what we try to show from this study a one of the best novelist Arabic woman.

Key words :The style of Ahlam mastguanmi; poetic language; imagination; specialcharacter to the novel; employ the opposites dualisms; the photography art; magical effect.

الملخص :

إن لأسلوب الكاتبة في هذا العمل الروائي، أثر سحري فاللغة شاعرية متدفقة ممتزجة بين التصوير الفني الذي كان حاضرا بقوة لدرجة التخيل و رسمه في ذهن القارئ.

ضف إلى ذلك تفننها في توظيف للثنائيات الضدية التي أكسبتها صبغة مميزة و منفردة و هذا كله للدلالة على خصوصية لغتها الشعرية الراقية التي تحفل بالكثير من المفاجئات التي ساقتها بأسلوب زاد من جمالها و بهائها، بل ألبستها ثوبا منفردا جذب القارئ وحاول إبهارهو هذا ما نحاول إظهاره في هذه الدراسة عند إحدى أهم سيدات الرواية العربية.

كلمات مفتاحية : اللغة الشاعرية; التصوير الفني; الأسلوب; جذب القارئ; الإبهار; الصيغة الجمالية; التخيل.

تمهيد

إن ما يميز النص الروائي لأحلام مستغانمي هو قدرتها الإبداعية على المزاوجة بين لغة الشعر و لغة السرد، إذ تتجاوز لغتها السردية الأعراف التقليدية للسرد الروائي، فتغدو تعابير شعرية ذات مسحة جمالية.

في رواية " الأسود يليق بك" يظهر الاشتغال الأدبي واضحا فيها من لغة شاعرية راقية و صراع بين الطرفين مع نمو واضح للأحداث، حيث يشد القارئ إليه بما فيه من مفاجاءات و غرائبية، خصوصا و أنه سيق بأسلوب راق مبدع تغلفه اللغة الشاعرية المشبعة بالأحاسيس حيث تحدث الإمتاع و التشويق.

1) اللغة الفنية في الرواية

المثير في أعمال الكاتبة أحلام مستغانمي، المزاوجة في أسلوبها بين لغة الشعر و السرد، مشكّلة بذلك قفزة جمالية ألغت الفروق التقليدية بينهما.

سر نجاح مستغانمي في روايتها مصدره شعرية لغتها « هكذا فإن موضوع الأدب ليس الأدب و لكن الأدبية، أي ما يجعل من أثر ما أثرا أدبيا »[1].

و بالتالي لا يقتصر على سحر حكاياتها وحبكة السرد فيها « من النادر أن تلقى رواية تظهر للقراء في طبعتها الأولى هذا الرواج الذي لقيته روايات الكاتبة الجزائرية الأصل أحلام مستغانمي، والناقد المختص عندما ينظر في بناها السردية لا يجد فيها شيء جديد، لا في مستوى التقنيات السردية الموظفة فيها، و لا في مستوى إنشائية النص عامة، ومع ذلك انتشرت هذه الروايات واستجابت لأفق انتظار القارئ العادي و القارئ المختص، والسر كل السر في أن الكاتبة أضفت على نصها السردي هذه الغنائية الساحرة العميقة التي لا تتوفر عادة إلا في النصوص الشعرية، فقد اقتربت هذه الروايات من الشعر، و استفادت من طاقاته الإبداعية، و بنت نصوص سردية مغايرة، بمد المعنى لعبت فيها اللغة الشعرية بإمكانياتها، المتعددة دورا أساسيا وجد فيه القارئ ضالته»[2].

لغة أحلام تتحرك نحو بُعد جمالي يفيض بالشعرية، فاللغة عندها إنزياحية فهي تخرج عن المألوف والمعتاد وبذلك تضمن لها التميز و الانبهار الذي يأسر القارئ .

حافظت الكاتبة على نفس الأسلوب اللغوي الذي اعتدنا عليه في الثلاثية، ذاك الأسلوب الشعري الأخاذ « لأن لديها قاموسا واسعا من المفردات وهي تعرف جيدا كيف تختار الكلمة الجميلة للفكرة الجميلة لترصع بها لغتها، لغة السرد، تبدوا فيها روعة ما بعدها روعة من الأداء المميز»[3].

فهي تعتمد على اللغة وما تمنحها إياها من حرية في التعبير عن عالمها الخاص، فلا تكتفي بالقالب النثري أثناء بناء متنها الحكائي، بل تستدعي الشعر وجماله، لتصبغ نصها بلون ينفرد عن باقي الألوان الأخرى، لون خاص بها وحدها « إنّ أهم ما يميز في النظريات النقدية الجديدة بين الشعر و النثر ليس الجانب التقليدي ولكن ما يحمل النص من خصائص جمالية و فنية، فكلما اشتمل النص على مقدار أكبر من هذه العناصر، زادت شعرية النص، وكلما اشتمل على مقدار أقل منها ضؤلت هذه الشعرية في النص المطروح للقراء»[4].

فنص" الأسود يليق بك " جاء باذخا من حيث هذه اللغة الموظفة بين شخصيات الرواية، حيث جعلت الحوار الدائر بينهم في كل مرة مفعم بالأناقة و الفلسفات.

أ– اللغة العامية

من المعروف أن الكاتبة لا تتقيد باللغة العربية في كل كتاباتها، فهي تستعين بالعامية التي تعكس انتماء بعض طبقات شخصياتها.

---

[1] R-jakobson: huit question de poétique-ed le seuil 1977 16

[2] عبد المالك مرتاض، النص الأدبي من أين و إلى أين، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1983، ص 26.

[3] الديك زهرة، أحلام مستغانمي ، هكذا تكلمت ....هكذا كتبت، دار الهدى، الجزائر،2013 ، ص 204.

[4] عبد المالك مرتاض، نظرية النص الأدبي ، دار هومة، الجزائر، 2007، ص 95-96.

فأحلام اعتمدت على الحوار المتفاعل بين شخصياتها، فكانت اللغة العامية أفضل تمثيل لهذه الشخصيات «نصيرة تسلم عليك بزاف .....طلبت منك تلفونك واش نعطيهولها »[5].

إلى جانب توظيفها للعامية الجزائرية، نجد أن العامية السورية حاضرة بدورها في النص على أساس أن أم البطلة سورية الأصل.

فها هو الملحن يفسر الحب بمنظوره الخاص «الحب تعتير لا شهيق ولا زفير، جيب لي مرا بتحبك لنفسك مو لجيبك وتنطرك مو تنطر لتبرم ظهرك، أيامنا الحب عملية نصب عاطفي .....مرا بتجمل لك.....تتغنج تتبرج لتوقعك وبس تتجن وتتجوزها ما تعود تعرفها، ما في حب، في صفقة حب... يا زلما شرفك تعرف شي مرا بتقبل تتجوز واحد معتر لأنها بتحبّوا...»[6].

هذا التفسير الذي قدمته أحلام عن الحب على لسان الملحن، وبهذه العامية جاء ملائما لنظرة العامة حوله، خصوصا في زمن غلبت عليه الماديات أكثر من المعنويات.

إلا أن أحلام سيدة الإبداع و الشعر، كان باستطاعتها أن تقدم تعريفا مبهرا له وهذا ليس بالصعب عليها، إلا أنها تركته هكذا ليبدوا عفويا.

ب– اللغة الأجنبية

عبارة"I LOVE YOU" فهي ظاهرة موجودة فعلا، فكل الدببة وما يشبهها من الدمى التي تتكلم تستعمل نفس العبارة أو عبارات أخرى كلها بالانجليزية.

ج – اللغة الفلسفية

تقدم لنا الكاتب تعريفا فلسفيا رائعا للحب « الحب هو ذكاء المسافة، لا تقترب كثيرا فتلغي اللهفة، ولا تبتعد طويلا فتنسى، ألاّ تضع حطك دفعة واحدة في موقد من تحب، تبقيه مشتعلا بتحريك الحطب، ليس أكثر، دون أن يلمح الأخر، يدك المحركة لمشاعره ومسار قدره .....»[7].

هذا التعريف الذي قدمته أحلام مستغانمي للحب، هو الذي جعل طلال يتقن ممارسته للعبة الحب ، فيأسر هالة ويوقعها في شباكه، حيث تحول إلى قدرها.

ثارت أحلام مرة أخرى على الواقع العربي، وهذا من خلال طبعة الحكم و النظام فيها، وأني لم تشرإليها صراحة إلا أنها عبرت بجمل عن الحقيقة المرة لهذه الأنظمة وهذا في : « الكل أدرك فحوى الرسالة : كن صامت .... أو ميتا.

كل حكم يصنع وحوشه ويربي كلابه السمينة التي تطارد الفريسة نيابة عنه .....وتحرس الحقيقة باغتيال الحق....»[8].

[5] أحلام مستغانمي، " الأسود يليق بك"، دار نوفل، الطبعة 02، 2012، ص 24.

[6] أحلام مستغانمي، المصدر نفسه، ص 34.

[7] المرجع نفسه، ص 44.

[8] المرجع نفسه، ص 79.

– بلغة أدبية أنيقة تنهي روايتها قائلة «ارقص كما لو أن لا أحد يراك غن كما لو أن لا أحد يسمعك، أحب كما لو أن لا أحد سبق و أن جرحك »[9].

خلاصة لفهم الحياة وهي بذلك نهاية رائعة تقفل بها روايتها " الأسود يليق بك"

2) شعرية التضاد اللغوي

تفننت أحلام مستغانمي في توظيفها للتضاد اللغوي «يطلق اللفظ على المعنى وضده »[10] فقد أكسبها صبغة مميزة ومنفردة في كتاباتها و أمثلة كثيرة في "الأسود يليق بك".

« لن يدري أبدا حجم خسارته لفقدانها هل أكثر فقرا من غني فاقد الحب؟»[11].

فهذه الثنائية (الفقر≠ الغنى)، لم توظفها الكاتبة بمعناها المادي بل وظفتها بمعناها الفلسفي للحياة فالرجل الغني مهما كان ماله (سلسلة مطاعم كبيرة حول العالم، شقق في بعض الدول الأوربية ...مال باذخ لحد شراء طائرة خاصة لنقله) أفقر رجل في العالم فالمال بالاستطاعة اكتسابه، أما الحب فصعب إيجاده.

نجدها في موقف أخر تقول « كيف لفتاة في السابعة والعشرين من العمر أن تتصور زمنا مستقبليا يكون فيه جليسها ماضيا »[12].

(المستقبل ≠ الماضي) هذه الثنائية التي ابتدأت بها نصها فهي تسرد الأحداث المستقبلية بانطلاقة من الماضي فطلال يدرك أنه مهما كان مستقبلها لامعا ومشرقا فهي لا تستطيع التخلص من ماضيها معه « لكنه ليس نادما على ما وهبها خلال سنتين من دوار اللحظات الشاهقة، وجنون المواعيد المبهرة، حلق بها حيث لن تصل قدماها يوما، ... فقد وهبها من كنوز الذكريات ما لم تعيشه الأميرات، وملايين النساء اللاتي جئن العالم وسيغادرنه من دون أن يخبرن ما يقدره رجل عاشق أن يفعل »[13]، فهو بذلك يدرك بأنها وإن كانت موجودة في الحاضر والمستقبل، لا تستطيع التخلص من ذلك الماضي الذي سيظل سجنها مهما تغيرت الأزمنة.

في موضع أخر، تقدم تفسيرا غارقا في الرمزية في تعريفها للحب « الحب هو اثنان يضحكان للأشياء نفسها، يحزنان في اللحظة نفسها، يشتعلان ينطفئان معا بعود كبريت واحد، دون تنسيق أو اتفاق »[14]، هذه الصورة مليئة بالتضاد في(الضحك≠ الحزن) (الاشتعال≠ الانطفاء)، (دون تنسيق≠ اتفاق)، هي عرفت الحب بمنظوريه الرومانسي فالضحك دلالة على السعادة التي تغمر المحب والاشتعال رمز الرغبة للقيام بأي شيء من أجل الوصول إلى ذروة الحب، والاتفاق هو المظهر العام الذي يسود العلاقة بين طرفي المعادلة العشقية، لم تنس أيضا الجانب الحالك في الحب وهو المأساوي، فالحزن هو الحالة النفسية التي تصيب المحب بالكآبة عند فشله وانتهاءه أما الانطفاء فدلالته اخطر فهو فقدان الرغبة والاستسلام

[9] المرجع نفسه، ص 331.

[10] أميل بديع يعقوب، فقه اللغة العربية و خصائصها، بيروت، دار الثقافة، ص 181 .

[11] أحلام مسغانمي، الأسود يليق بك، ص 13.

[12] م، ن، ص 43.

[13] م، ن، ص 14.

[14] م، ن، ص 23.

النهائي للحياة وبالتالي فقدان الأمل لإعادة الكره من جديد، وعدم التنسيق هو الاختلاف الذي عادة يكون بين العاشقين كما هو الحال بين هالة وطلال، فهو رجل من أرقام وهي امرأة من أنغام.

تصور لنا في مشهد آخر حالة اليأس الذي اعترى طلال عندما اتفقا أن يلتقيا في المطار الباريسي، فبالرغم من أنه كان معها في الطائرة مجاورا لها، إلا أنها لم تتعرف إليه ليشعر أنه ليس رجلا لافتا « زحام وازدحام .... وأحلام تتهشم بين الأقدام، أمواج من البشر القادمين والمغادرين، وهو المغادر من قبل أن يصل لكأنه جاء ليغادر»[15]، هذا الإصرار الذي نلمحه عند الكاتبة في استعمالها المتكرر للفظتي المغادر القادم، دل على رغبتها في التعرف عليه، لكن ذلك لم يحدث، فجعلته يغادر قبل أن يأتي وبطبيعة الحال كانت نهاية الرواية على هذه الثنائية فكما جاء ودخل إلى حياتها دون إذن أو تبرير غادرها بدون عذرا أو تفسير.

يحفل النص بمجموعة من المفردات المتضادة التي تزيد من النظرة الواقعية للحياة الجزائرية الجريحة خلال مرحلة التسعينات الدامية ففي تلك الأيام كان المهم أن تحفظ رأسك قبل أن تحفظ درسك (تحفظ ≠ لا تحفظ)، وهذا ما نسميه في المحسنات البديعية طباق السلب استعملته لتؤكد الحقيقة السائدة آنذاك، في ضرورة حفظ الرأس لكيلا يفصله الإرهابيون عن الجسد وهي أبشع صور التنكيل التي مارسها الإرهابيون على جثث قتلاهم، لذلك كان يجب حفظ الدروس والعبر لكي لا يؤول مصيرك إلى مصير أولائك.

أكثرت الكاتبة في استعمال هذه الخاصية، ولا يسعنا المقام بعرضها كاملة، وخير ما نقوله في هذا الجزء، أن استفحال هذه الثنائيات الضدية كان أحد الملامح الجمالية البارزة في الرواية بشكل خاص وبأسلوب أحلام في أعمالها، السابقة بشكل عام.

3)التشبيه ودلالته الجمالية

مثلما وظفت أحلام الطباق في إبراز خصوصية نصها لجأت إلى البيان من تشبيه واستعارة ومجاز وكل ما يمت للبيان بصلة كي تحقق جمالية للنص وللمتلقي فجاءت صورها مثخنة بالإيحاء، لها سحر خاص يختلف عن اللغة السردية المباشرة ليخلق لغة حبلى بالمجازات لتحقق للنص شعريته وهذا ما عبر عنه جان كوهن في « إن المنبع الأساسي لكل شعر هو مجاز المجازات وهو الاستعارة وهي غاية الصورة»[16].

هذا ما وظفته أحلام في نصها لتصل إلى تلك الغاية المنشودة، حيث تغرقنا في شاعرية لا مثيل لها، و هذا الطرح الذي يؤكده الغدامي في تعريفه للشاعرية « الشاعرية بالذات هي فنيات التحول الأسلوبي و هي (استعارة) النص، كتطوره لاستعارة الجملة، حيث ينحرف النص عن معناه الحقيقي إلى معناه المجازي»[17]من هنا يتحول جل اهتمام القارئ إلى البحث عن المعنى الخفي وراء هذه التلميحات، لإيجاد تفاسير مقنعة لهذا التوظيف الشعري و هذا ما نحاول فكه من خلال الأمثلة الموالية:

---

[15] م، ن، ص 82.

[16] جان كوهن، بنية اللغة الشعرية: ترجمة محمد الوالي و محمد العمري، دار توبقال، الدار البيضاء، ط 1 ، ص 170.

[17] عبد الله الغدامي، الخطيئة و التكفير من النبوية إلى التشريحية، قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر، مقدمة نظرية و دراسة تطبيقية، ط 1، النادي الأدبي الثقافي ، جدة، 1985، ص 25.

« لسنوات ظل العشاق حائرين في أسباب الفراق، يتساءلون: من ترى دس لهم السم،في تفاحة الحب لحظة سعادتهم القصوى؟ لا أحد يشتبه في الحب أو يتوقع نواياه الإجرامية، ذلك أن الحب سلطان فوق الشبهات لولا أنه يغار من عشاقه، لذا يظل العشاق في خطر، كلما زايدوا على الحب حبا»[18].

جعلت أحلام الحب إنسان أو ملاك يقوم بحماية العشاق و يذود عنهم التعاسة والفراق و هو تشبيه بليغ، إلا أنه أكثر قسوة مما يبدوا عليه فيتحول من صورة ملائكيه إلى شيطانية فهو يغار منهم ويحيطهم بالأخطار كلما زايدوا عليه،صورة واضحة للتجسيد الاستعماري الذي أزاح المفردات عن تعابيرها العادية، مصورا بذلك الوجه الحقيقي للحب عكس ما يظهره في الواقع.

« لم تلتق من قبل مع رجل في مدينة تتنفس الحرية، ولا كانت يوما حرة لعلها فرصة لكسر قيودها واكتشاف العالم»[19]، هذه المدينة التي جعلتها الكاتبة كائن حي يتنفس ويكسر قيوده، هي باريس مدينة الحب والملائكة، إلى جانب هذه الاستعارة المكنية، وظفت معها التاريخ فمعلوم أن شعار الديمقراطية في العالم الغربي هو فرنسي الأصل، لكنه يبقى مجرد شعار كما أشارت الكاتبة لأنها قطعا لم تمارسه، فأرادت الكاتبة من بطليها أن يثبتا صحة نظريتها من عدمها.

في صورة أخرى تقدم تشبيها رائعا للجبال، هذه التضاريس الجغرافية التي لها علاقة وطيدة بالشعب الجزائري خصوصا الثورة التحريرية « كانت الجبال منازلهم، و هواتفهم ومنصات غنائهم، و حائط مبكاهم و سقفهم لذا أعلنت فرنسا الحرب على الجبال، و ألقت قنابل النابالم على الأشجار.. كي تحرق أي احتمال لبقائها واقفة »[20]، بهذه الصيغ المجازية تصور علاقة الجزائري بالجبال باعتبارها الملاذ الآمن إبان الثورة التحريرية و منطلق شرارتها.

تواصل الكاتبة في التكثيف من استعمال البيان بكل أنواعه، مما يصبغ النص أفقا تعبيريا جديدا، فهاهي تراهن عليه في قضية أخيها علاء بعدما أدرك حقيقة الإرهابيين حينما كان بينهم « أدرك متأخرا أن اللعبة أكبر مما تبدو، كان المتحكمون يضخمون بعبع الملتحين يغتالون صغارهم، و يحمون كبارهم الأكثر تطرفا، يحتاجونهم رداءً أحمر، يلوحون به للشعب حين ينزل غاضبا كثور هائل في ساحة كلوريدا فيهجم على الرداء وينسى، أن عدوا قد يخفي عدوا آخر، فهو يرى الرداء و لا يرى الماتادور الممسك بالرداء، و في يده اليمنى السهام التي سيطعن بها الثورة و في اليسرى الغنائم التي سطا عليها »[21].

فما أجمله من تشبيه وظفته الكاتبة وهي تصف حال الجزائر في تلك الفترة بالماتادور الإسباني أثناء منازلته لثور، مستعملا بذلك الرداء الأحمر ليثيره و يزيد من غضبه و بالتالي يجن و يهجم بكل قوته مركزا على الرداء متناسيا الأسهم التي تطعن ظهره فعبرت عنها الرواية بلغة مليئة بالإيحاء و الرمز لتخلق عالما من الدلالات للتعبير عن الوضع المأساوي للوطن في تلك المدة.

[18] أحلام مسغانمي، "الأسود يليق بك"، ص 11.

[19] أحلام مستغلنمي، الأسود يليقبك، ص 54.

[20] م، ن، ص 65.

[21] م، ن، ص 70.

بالحديث عن العلاقة الجدلية بين الرجل و المرأة، هذه العلاقة التي نجدها حاضرة في هذا النص منذ الوهلة الأولى بين هالة و طلال، إلى غاية التصريح بها « خرجت للغناء لكسر القيود التي يكبل بها الرجل العربي المرأة»[22] وهي بغنائها تكسر تلك القيود المتكونة من العادات و الأعراف فاستعمال لفظة قيد غير حقيقي و هذا الانزياح المستعمل في معنى اللفظ أكسبه طاقة وبعدا فنيا أكثر من معناه الحقيقـي (السلاسل) و هي إشارة منها إلى التصريح بذاتها و بكيانها كامرأة و كأنثى.

تواصل أحلام مستغانمي في التلاعب بالصيغ و وضعها في قوالب غير قوالبها مفتعلة في ذلك صورا تشدك إليها رغما عنك وهذا ما حدث و هي تتحدث مرة أخرى عن علاء « نزل علاء من الجبال مع ألاف " التائبين" الذين سلموا أنفسهم إلى السلطات بعد الضمانات التي قدمت لهم، لم يثب عن الفشل، فما اغتال سوى أوهامه، كان يحلم بالعودة إلى بيته كما يحلم البعض ببلاد بعيدة موعودين بها، و عندما عـاد إلى أهلـه اكتشف أنـه لم يعـد إلى نفسـه، اهتز سلامه الداخلي، أصيب بحداد نفسي و دخل واقع اللاواقع منزلقا نحوى الانفصام، لفرط ماراكم في سنتين من سنوات ما عاد له من عمر.... و لا من اسم »[23].

لقد تحول علاء ذلك الشاب الوسيم المرح إلى شخص آخر يوحي بالحزن و انقسام في الذات و هذا كله يدل على حزن الكاتبة على لسان أخته و على هذه الحقيقة الموجعة التي جعلتها لا تتعرف عليه و لا هو يتعرف على نفسه و هنا تكمن ذروة التعاسة.

وظفت الكاتبة في نهاية الرواية مفردات عديدة من قاموسها المليء بها لتحيي نفسها بعد حالة الحزن التي اجتاحتها مذ أن فارقته لتعلن ميلادها من جديد مستغنية عنه مستقبلة، الحياة التي علمتها أن الحب و الإخلاص يكون لها و حدها « أيتها الطيور أيتها الجبال، أيتها الأمواج، أيتها الينابيع أيتها الشلالات، يا كل الكائنات إني أسمع نایاتك تناديني ،

أيتها الحياة،

دعي كمنجتك تطيل عزفها.....و هاتي يدك،

لمثل هذا الحزن الباذخ بهجة

راقصيني»[24]

بهذه اللغة المكثفة تمكنت الكاتبة من تصوير هالة الجديدة، الخالية من طلال هالة التي غنت للعراق بلد المليون نخلة و غنت للحياة منادية لذلك كل المظاهر الطبيعية لتشهد على ولادتها من جديد ولكي تهنئها على مغالبتها للحزن بالرقص معها أي الحياة، فالإخلاص لا يكون إلا لها وحدها.

4) الوصف ودلالته في الرواية:

[22] م، ن، ص 78.

[23] م، ن، ص 89.

يعد الوصف من أهم الأساليب الفنية التصويرية التي توجد في جميع الأجناس الأدبية، بما فيها الرواية حيث يرتبط بظاهرة السرد بل هو جزء منها « الوصف حتمية، لا مناص منها، إذ يمكن كما هو معروف أن تصف دون أن تسرد، ولكن لا يمكن أن تسرد دون أن تصف كما يذهب إلى ذلك جنيت»[25].

نجد الكاتبة تتخذه أسلوبا فنيا يساهم في تحريك النص و إعطاءه ملمحا فنيا و جماليا

« ثم أطلت كبجعة سوداء داخل ثوب أسود من الموسلين لكأنها "ماري كالاس" في ثوب أو برا لي، لا يزينه إلاّ جيدها العاري، و شعر أسود مرفوع إلى أعلى، إنها الفتنة في بساطتها العصية»[26]. لقد قدمت أحلام من خلال هذه المشهد صورة لهالة حيث رسمت ملامحها و هي ترتدي ذلك الثوب الأسود.

استعانت به في تصوير الحالة التي كانت فيها أم هالة « كان عليها أن تعيش فجائعها، و هي في كل وعيها، أن يشرعوا الباب كل مرة، ليدخلوا عليها تارة بجثة زوجها و أخرى بجثة ابنها، وأن تواصل الحياة برغم ذلك مع قتلتهم، أليس الألم الأعظم أن تدفن أباك قبل أن تدفن ابنك»[27]، إن شخصية الأم مجسدة عبر هذه المشاهد فهي أم تعيسة حزينة تحمل أعباء ثقيلة، قد شهدت موت والدها ثم استلمت جثة زوجها و أخيرا جثة ابنها أي أم تحتمل هذا الألم كله فكأن قدرها مرتبط بالموت ارتباطا وثيقا.

لجأت إلى وصف المكان، فالوصف المستعمل في هذه الرواية لم يكن مرتبط بالشخصيات فقط، بل اشتمل حتى على الأمكنة مما زاد في تصورها و تخليها، وها هي تصف المطعم الذي أراد أن ينبه في إحدى دول الخليج « مطعم أقدامه في البحر و جدرانه أوكواريوم تسبح فيها أسماك بلوحات لونية مبهجة، أما الأرضية فيتصورها كثبانا رملية منخفضة تتناثر عليها الأصداف المختلفة الأشكال، يرتفع فوقها على علو نصف متر زجاج يميل إلى الزرقة يوحي لمن يمشي فوقه أنه يمشي على البحر الطاولات تكون بتصاميم عصرية من الزجاج الفاخر بألوان بحرية متدرجة و ستكون قليلة ومتباعدة، لرفاهية و الفخامة تقتضيان ذلك!»[28]، نلاحظ في هذه المقاطع أن الوصف غدا ذو طبيعة متحركة حيث بثت أحلام الحياة في الجماد وكأنها تعاقدت مع مهندسي الديكور و المعمار، فشكلت معهما ذلك المطعم استنادا إلى الوصف المقدم و بالتالي و بدون شك سيغدوان أروع مطعم في الخليج كما كان يريد طلال أيضا،« إن الوصف يتناول الأشياء فيرسمها بواسطة اللغة و هو عنصر أساسي في الرواية ، فإذا كان السرد يروي الأحداث في الزمان، فإن الوصف يصور الأشياء في المكان »[29].

« كان و هو يمشي معها على ضفاف البحرة التي تتربع عليها بعض البطات يسمى لها الأشجار واحدة واحدة، كما لو كان يعرفها بإناث سبقنها إلى قلبه.

قالت ممازحة:

---

[25] م، ن، ص 89.

[26] م، ن- ص 331.

[27] عبد المالك مرتض، تحليل الخطاب السردي (معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق)، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون الجزائر ، 1995، ص 264.

[28] م، ن، ص 146.

[29] زياد محبك أحمد- مقدمة لدراسة المكان في العمل الروائي، مجلة بحرين الثقافية، ع24، المجلد 6، 2000، ص 108.

لن تكون المنافسة صعبة إن كانت هذه الأشجار نساءك!

– برغم ذلك لا تطمئني تماما لرجل يهرب من البشر إلى الشجر!»[30].

لجأت الكاتبة إلى تشخيص الأشجار تشخيصا بشريا، لدرجة جعل كل شجرة تمثل امرأة بذاتها، مما أثرى هذا العمل الروائي بهذا الوصف الذي يعد من أهم العناصر السردية التي تجعله مقاربا للواقع أكثر منه إلى الخيال.« راح يتأملها، بينما راحت تتأمل الشقة في أناقة أثاثها القليل و المنتقي بذوق عصري راقٍ، كل شيء شفاف ومن الزجاج السميك الفاخر، الطاولات كما الرفوف، تقف على أعمدة زجاجية بقواعد ذهبية حتى الكراسي بلون عادي غير مثقلة بالزخارف إنه فن المساحة، لا شيء يثقل فضاء الرؤية، و السجاد يبدوا لوحة حريرية بألوان ناعمة مدت على الأرض »[31].إن الوصف الذي قدمته الروائية لآثار شقة طلال في فرنسا، فكان الغرض منه الحديث عن ذوقه و براعته في اختيار الأثاث و حسن ترتيبه و يبقى الوصف من أهم التقنيات التي اعتمدت عليها أحلام مستغانمي في سرد أحداث وقائعها لأنه بواسطته يستطيع الروائي أن يصور لوحات فنية يمثلها القارئ في ذهنه فتبدو ظاهرة للعيان و في ذلك يقول جيرارجنيت « كل حكي يتضمن سواء بطريقة متداخلة أو بنسب شديدة التغيير أصنافا من التشخيص لأعمال أو أحداث ما تكزن ما يوصف بالتحديد سردا " NARATION " هذا من جهة و يتضمن من جهة أخرى تشخيص لأشياء و لأشخاص و هو ما ندعوه في يومنا هذا وصفا DISCRIPTION »[32].

أبدعت كذلك في نقد ظاهرة دخيلة على مجتمعنا العربي، خاصة لدى الفنانات، في مقدمة الرواية حينما قالت « لم تكن تشبه أحدا في زمن ما عادت فيه النجوم تتكون في السماء، بل في عيادات التجميل»[33]،فالنجوم هنا تقصد نجوم الفن، فالنجمة الطبيعية الربانية التي خلقها الله منذ خلقه للكون تكون مشعة في السماء أما نجوم اليوم فيحولون الجمال الرباني الطبيعي إلى جمال اصطناعي في عيادات التجميل و هنا وصفها لامس الواقع بطريقة مباشرة و هذه هي أحلام، تتحدث بكل جرأة و صراحة عن قضايا المجتمع الجزائري خاصة و العربي عامة.

و خلاصة لما سبق نصل إلى أن :

رواية "الأسود يليق بك" على قدر من الجودة و الإبداع الأدبي خصوصا على المستوى السردي و سحر الشعر، ليتداخلا مع بعضهما البعض لحد التماهي، فتغدوا شعريته الوجه الآخر لسرديته.

إن لغة أحلام مستغانمي في الرواية لا تستعير الشعرية، إنما تتبناها عنصرا مهما من عناصرها حيث تنفي الحدود الفاصلة بين السردي و الشعري في هذا النص، فتغدوا حمّالة للوجهين معا، فنقول أن لغة الشعر هنا هي ذاتها لغة السرد و ذلك لتحقيق الإمتاع لدى القارئ.

[30] م، ن، ص 176 – 177.

[31] م، ن، ص 206– 207.

[32] حميد الحميداني، بنية النص السردي، المركز الثقافي العربي بيروت، 1991، ص 78.

[33] أحلام مسغانمي، الأسود يليق بك، ص 15.

رواية "الأسود يليق بك" تحمل الكثير من المفاجآت التي تتجاوز حدود العقل، وكثير من المواجع و الأحزان القومية و العاطفية سيقت بأسلوب راقٍ زاد من جمالها وبهاءها تلك اللغة المتميزة و المشاهد الآسرة و طريقتها في حبك الأحداث و جذبها للقارئ مما جعلها تتميز و تُميّز أحلام مستغانمي إحدى أهم سيدات الرواية العربية.

المصادر و المراجع

المصادر:

1- أحلام مستغانمي- " الأسود يليق بك"- دار هانشيت أنطوان دار نوفل-لبنان-الطبعة 2-2012.

المراجع باللغة العربية :

1- إميل بديع يعقوب فقه اللغة العربية و خصائصها – بيروت – دار الثقافة.
2- جان كوهن- بنية اللغة الشعرية – ترجمة محمد الوالي و محمد العمري دار توبقال – الدار البيضاء – ط .
3- حميد الحميداني – بنية النص السردي – المركز الثقافي العربي – بيروت- 1991.
4- زهرة الديك – أحلام مستغانمي – هكذا تكلمت ..... هكذا كتبت – دار الهدى- الجزائر -2010.
5- عبد الله الغدامي – المرأة و اللغة – المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء- المغرب – ط 1- 1996.
6- عبد الله الغدامي- الخطيئة و التكفير من البنيوية إلى التشريحية- قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر – مقدمة نظرية و دراسة تطبيقية – النادي الأدبي الثقافي- جدة 1985.
7- عبد المالك مرتاض – النص الأدبي من أين و إلى أين- ديوان المطبوعات الجامعية 1983.
8- عبد المالك مرتاض -نظرية النص الأدبي- دار هومة-الجزائر-2007.

المرجع باللغة الأجنبية

1- R-jakobson: huit question de poétique-ed le seuil 1977 16

المجلات

1-زياد محبك أحمد- مقدمة لدراسة المقال في العمل الروائي و مجلة البحرين الثقافية- العدد 24 – المجلد 6 – 2000.

Kourad42@yahoo.com